الفنّ واشكالية الحقيقة في فلسفة مارتن هايدغر

Art and the problematic of truth in the philosophy of Martin Heidegger

سحابات مليكة *

كرد محمد ♣

تاريخ الإرسال: 2020/07/26	تاريخ القبول : 26 / 11 / 2020	تاريخ النشر: 30/ 03/ 2021

الملخص:

لقد شكلت المسألة الفنية صلب الفلسفة الهايدغرية لأنّها أصبحت من أولويات الإنسان المعاصر ليستدرك بها ما لحقه من اختلالات ولذلك بسط هايدغر جزءا لا يستهان به من البحوث الفلسفية حول موضوع الفنّ، ومن ثمة ظلت الإشكالات والتساؤلات التفصيلية المرتبطة بالفنّ حاضرة في كل موضوعاته الفلسفية وعلى وجه الخصوص مشكلة الحقيقة.

حيث يري هايدغر في الفنّ حدثا للحقيقة وانكشافا للوجود وتحررا من اليومي وانخراطا في التاريخ وأصبح نشدان الحقيقة في الفنّ أمر ضروري، وهام لأنّ محاولة فصل الفنّ عن الحياة تؤدي إلى إفراغه من محتواه وإلى حصره في نطاق خيالي بحت فيغدو مجرد إمتاع للحواس وإثارة للانفعالات.

المؤلف المرسل: سحابات مليكة:**malika.sehabet@univ-mascara.dz**

*كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

malika.sehabet@univ-mascara.dz

طالبة دكتورالية، مخبر الانتماء: مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم.

♣كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر.

mohammed.kerd@univ-mascara.dz

فالعمل الفني في حقيقة الأمر عنده لا يطلب سوى إظهار الوجود وتعين مقامه وجعله ينكشف ويتجلى ولا يتحقق هذا الانفتاح فنيا إلاّ في اللغة ليس اللغة بوصفها أداة للتعبير أو الإخبار، و إنّما اللغة كعمل فني، وليس هناك إلاّ فنّ واحد يكون من صميم ماهيتها و هو الشعر، فالفنّ والشعر ليستا قضيتين تهمان التذوق والمتعة ، والحكم الجمالي، وإنّما هما معا تجربة مكابدة لسؤال الحقيقة، فهما حدث ينادي الحقيقة، والشعر هو الفضاء الأكثر كثافة للانفتاح وانكشاف الحقيقة.

الكلمات المفتاحية: هايدغر، الفنّ، الحقيقة، الشعر، الأثر الفنّي.

Abstract:

The question of art formed the heart of Hedgerist philosophy because it became one of the priorities of modern man in order to redress the imbalances that occurred to him, and therefore Heidegger posed an important part of the philosophical research on the subject of art, then the problems and detailed questions related to art remained present in all his philosophical subjects and in particular the problem of truth

Heidegger sees art as an event of truth, an exposure to existence, a liberation from everyday life and a commitment to history, the desire for truth in art has become necessary and important, because trying to separate art from life leads to emptying it from its content and confining it to a purely imaginary realm,

thus it becomes nothing more than an enjoyment of the senses and an excitement of desire. Because the work of art in reality according to him has only to show the existence and to determine its place and to make it exposed and manifested, and this openness is only technically realized in language, not language as a tool of expression or actuality, but language as an artistic work, and there is only one art that is at the heart of what this art is It is poetry.

Art and poetry are not issues that concern taste, artistic pleasure and aesthetic judgment. Rather than that, they are together a powerful experience of asking for the truth. It is an event that calls for truth. Poetry is the most dense space for openness and exposure to truth.

***Key words**:Heidegger ;The art ;Truth ; Poetry ; Artistic effect.*

*** *** ***

مقدمة:

لقد غرق الإنسان في عالم الأشياء فنسي نفسه وسلبته الأشياء نفسه، نسي حقيقة جوهره، وفقد إنسانيته، وفقد تواصله الإنساني، وانفصل الإنسان عن الإنسان، وطرد من ذاته فأصبح اللامأوى هو سكنه وهكذا اغترب الإنسان عن الوجود.

ولذلك أراد هايدغر لهذا الإنسان أن يعود إلى جوهره وحدد رسالته في هذا وهي أن يحل امتلاك الإنسان للأشياء بدل امتلاك الأشياء للإنسان.

والفنّ هو إحدى الوسائل التي يلجأ إليها الإنسان لكي يتحرر من رقّ الأشياء المادية التي جعلت منه مجرد شيء خال من البعد الشعوري.

وسيكون رائدنا في هذا الموضوع أن نستعرض الخطوط الرئيسية لهذه الدراسة، مهتمين على وجه الخصوص بتحديد معالم فلسفة هايدغر في الفنّ وعلاقته الجدلية بمشكلة الحقيقة، دون التوقف عند التفاصيل الجزئية أو المشكلات الخاصة، مما قد لا يتسع المجال له في هذه العجالة القصيرة.

حيث نجد أنّ هايدغر لا يريد من وراء انشغاله بالفنّ أن يصل إلى معارف جديدة انطلاقا من الأرضية القائمة لفلسفة الفنّ بل أراد أن يبين هشاشة هذه الأرضية وأن يضع أساسا جديدا لطرح سؤال الفنّ فليس الهدف من طرح سؤال الفنّ تغطية ميدان من ميادين الفلسفة ولكنّ الهدف الأساسي يكمن في محاولة الاقتراب من سؤال الكون والوجود في محاولة للكشف عن الحقيقة وإظهارها.

فقد ركز هايدغر في دراساته على معنى الوجود العام وربط هذا المعنى بالوجود الإنساني حتى يخرج من حالة الاغتراب والغرق في عالم الأشياء إلى عالم جديد يتصف بالحرية ويجعل الوجود يكشف عن طبيعته.

ولذلك يطرح هايدغر سؤال الفنّ كسؤال جوهري صاحب الإنسان منذ أن بدا يسير ويعبر باللّغة، وسيبقى ما بقي العالم والإنسان، سؤال وضعت حوله مئات الكتب

والبحوث، واختلفت حوله المذاهب والعقول والقلوب، وستظل مختلفة مادامت تواجه الألغاز في الظاهر والباطن والداخل والخارج إنّه سؤال ماهية الفنّ الذي يدور في فلك السؤال عن الحقيقة بحيث يمكن القول أنّ هايدغر أراد أن يطور فلسفتة في الفنّ لتتميز عن محاولات السابقين.

فإذا كان السؤال عن حقيقة الوجود سؤالا أساسيا في فلسفته فإن السؤال عن معنى الفنّ ينبغي تناوله في إطار هذا السؤال والسؤال عن الوجود هو الأخر لا ينفصل في فكره عن سؤال الحقيقة لأنهما معا يمثلان النغمة المزدوجة التي تطغى على لحنه المتدفق وتبثُّ فيه الحركة والحياة ومن خلال هذا التداخل بيم مفهوم الفنّ والحقيقة والوجود في نمطه الفكري نطرح الإشكال التالي:

إذا كان الفنّ يختص في بحثه عن الجميل متجاوزا الواقع، وكانت الحقيقة تختص في بحثها عن اليقين الذي يطابق الواقع فهل من الممكن أن يكشف العمل الفني عن الحقيقة، وهل يمكن وضع الفنّ في علاقة ضرورية مع الحقيقة ؟

ولتحليل هذه الإشكالية لابدّ من معالجتها في إطار جملة من التساؤلات الجزئية التي تصب في موضوعها حتى نتمكن من فكّ ألغازها والخروج بحل لها، ومن الأسئلة التي يمكن صياغتها نطرح ما يلي:

_هل بإمكان الفنّ أن يستوعب مفارقات تحجب وللا_تحجب الحقيقة؟

_ كيف يمكن للفنّ أن يكشف عن الحقيقة؟

_كيف أعاد هايدغر سؤال الحقيقة، هل نحن من يتقدم إليها، أم ننفتح عليها ونتركها تنير وتتجلى بذاتها، هل هي خلق وكشف أم أنها انجاز وتحقيق عملي؟

_هل وضع الفنّ في علاقة ضرورية مع الحقيقة والوجود يعني إبطال البحث في الفنّ من جهة الجميل وجعل مهمته كشفية فقط ؟

ولتفكيك بنية إشكالية بحثنا قمنا بممارستها نظريا داخل مجموعة من الأطر المنهجية التي تأتي على استخدام المنهج التحليلي والمنهج التاريخي دون إهمال المناهج

الأخرى المساعدة والتكميلية كالمنهج الجينيالوجي خاصة في تحديد المفاهيم من جانبها اللغوي والاصطلاحي، وعلى هذا الأساس فإنّ مخطط البحث سيكون على النحو التالي:

تحديد الإطار المفاهيمي لمفهوم الفنّ والحقيقة ثم البحث في طبيعة العلاقة بينهما من خلال التطرق إلى سؤال الحقيقة في الأثر الفنّي بين التحجب والانفتاح حيث يتم التعرض هنا الى تحديد أصل الاثر الفنّي وصولا إلى طرح سؤال الحقيقة في الشعر بوصف الفنّ في ماهيته شعر من جهة، وباعتبار لغة الشعر ارق الأساليب الكاشفة لحقيقة الأشياء لقربها من الفكر من جهة أخرى، لنخلص في الأخير إلى خاتمة وجمعنا فيها لبّ بحثنا هذا من خلال عرض أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث.

أولا: في ماهية الفنّ عند هايدغر Art

اختلف العديد من الباحثين والمفكرين في حقول المعرفة على وضع تعريف محدد وواضح للفنّ، ويعود ذلك إلى العديد من الأسباب التي عبروا عنها في مختلف أعمالهم الفكرية، فقد حدده اندريه لالاند في موسوعته بأنّ:

"الفنّ جملة طرق تفيد في توليد نتيجة معينة وبهذا المعنى يتعارض الفنّ مع أولا: العلم بوصفه معرفة خالصة مستقلة عن التطبيقات. ثانيا: الطبيعة بوصفها قوة منتجة بلا رؤية وبهذا المعنى تتعلق التعابير: فنون آلية...وفنون جميلة هدفها إنتاج الجمال" [1]

وبهذا يتعارض معنى الفنّ مع العلم لأنّهما يختلفان من حيث المنهج والموضوع والغاية، فمثلا نجد أنّ الفنّ غايته جمالية أي إحداث الجميل، أما العلم غايته منطقية، نفعية.

"الفنّ هو العمل الذي يتميز بالصنعةوالمهارة...الفنّ مجموع الطرق والوسائل التي تستعمل من أجل الوصول إلى نتيجة معينة حسب أصول معينة...وهو أيضا إنتاج جمالي يُنتجه الإنسان الواعي ويضيفه إلى الطبيعة." [2]

فالفنّ هنا لا يشير إلى شيء أكثر من مجرد كونه لفظا نشير به إلى مجمل الطرق والأدوات التي تستخدم لإنتاج الأعمال الفنية التي ترمي إلى إنتاج الجميل

وإحداث المتعة الجمالية والتذوق الفني، وإذا عدنا بمفهوم الفنّ إلى القواميس فإننا نجده بمعنى:

" الأيرسب اللاتنية والتخني باليونانية وهما كلمتين أطلقتا على كل نشاط منهجي، كل نشاط يتطلب منهجا...أما في الفرنسية tekni وهي عبارة عن مجموعة من التحف التي تحمل توقيع شخص معروف وتتصف بالاتقان والنوعية...واصبح يطلق عليها في عصرنا الحالي الفنون الجميلة لما تحمله من جمال وتعبر عن أحاسيس وأهداف"[3]

"ونجد أنّ لفظ الفنّ، مع فلسفة الفنّ، هو اسم لجملة القواعد التي يحصل بتطبيقها تحقيق غاية، وبهذا المعنى فالفنّ تقنية غايتها تحقيق الجمال أو إنتاجه، هذا ما يجعل الفنّ صنعة أو صناعة...غايتها ترك الجميل يتفتق وينبجس أو ينكشف في شكل عمل فني." [4]

وبهذا المعنى يصبح الفنّ بوصفه مجموع الصنائع التي ينتجها الفنان هدفها الأول تحقيق الجمال فيصبح معنى الفنّ أيضا عينٌ الحقيقة وانكشافها وخروجها من حيز الكتمان إلى حيز التصريح.

وهذا المفهوم يقودنا مباشر إلى تصور هايدغر لمفهوم الفنّ في معناه الفلسفي حيث يأخذ الفنّ عنده دلالة انطولوجية لقرب علاقته بالفكر والوجود معا، ويعرفه هايدغر أنّ:

" الفنّ هو ملاحظة إقامة الحقيقة نفسها في الشكل، وهذا يحدث في الخلق بوصفه انجاز كشف الموجود... الفنّ هو المحافظة الخالقة لحقيقة للعمل الفني وعلى هذا فالفنّ هو صيرورة الحقيقة وحدوثها." [5]

وبهذا يصبح الفنّ في معناه الفلسفي عند هايدغر انكشاف حقيقة الوجود وتركه يوجد ويظهر، وهذا ما يجعل الحقيقة تلمع وتسطع. الفن هو من يصنع للأشياء حقيقتها، الفن يبتكر حقيقة الشيء، ويبتكر معه حقيقته الفنية.

ثانيا: في ماهية الحقيقة: Vérité

إن البحث في مفهوم الحقيقة وطبيعتها، ومصدرها، هواحد أهم الموضوعات الفلسفية حضورا في تاريخ الفكر، الأمر الذي جعلها من أهم المباحث الفلسفية، وقد تساءل الفلاسفة عن قيمتها ودورها في مجالات الحياة من معرفة وأخلاق وجمال، ولذلك اختلفت الآراء في تحديد معناها حيث نجد:

"ثلاث أطروحات تخصص التصور التقليدي لماهية الحقيقة والرأي في شأّن تعريفها أول مرة:1_ إنّ موضع الحقيقة هو القول (الحكم).2_ إنّ ماهية الحقيقة إنّما تكمن في مطابقة الحكم لموضوعه 3_ إنّ أرسطو، أب المنطق، قد نسب الحقيقة إلى الحكم كما إلى موضعها الأصلي، وهو أيضا قد دشّن تعريف الحقيقة بوصفها مطابقة."[6]

فقد اختلفت التفسيرات لمفهوم الحقيقة فأحيانا تؤخذ بمفهوم المطابقة سواء تطابق الفكرة مع نفسه كما هو الحال في المنطق التقليدي، أو تطابق مع الواقع كما هو الحال في المنطق الاستقرائي، فلا يمكن الحكم على الموضوع أنه حقيقي إلاّ إذا تطابق مع الفكر مع نفسه، أو مع الواقع.

"ولذلك كانت النظرة الغالبة عند الفلاسفة إلى الحقيقة أنها التطابق بين القول وبين الشيء وماهيته...لكنّها بهذا تغفل الظاهرة الأصلية للظهور...أنيرى الشيء معناه أولا أن يكشفه وأن يفتحه على شيء أخر غيره وفي داخل هذه الفتحة الانطولوجية تكون كل نظرة ممكنة. إن الفتحة هي الوسط الذي ينبثق منه الشيء."[7]

فعندما نتساءل عن معنى الحقيقي فإنّنا نفهم منه ذلك الأمر الذي له ما يقابله في الواقع وإلا لن يكتسب إطلاقا معنى الحقيقي فالحقيقة هنا تأخذ معنى التوافق والتطابق.

ولكن الحقيقة من منظور هايدغر لا تقوم على مفهوم المطابقة بين العقل والواقع بل في ردّ كل من العقل والواقع إلى الأفق الانطولوجي الذي يسمح بانكشاف الحقيقة.

"وبالجملة الحقيقة هي كشف الحجاب الذي يخرج الوجود من النسيان، إنّ الحقيقة هي الفعل الديناميكي الذي يجعل الأشياء تنبثق على ضوء يقظة فكرنا ليفهم الوجود." [8]

إنّ الحقيقة بوصفها اللا_تحجب هي ذلك العنصر الذي يتجلى فيه الوجود والفكر معا، لان الحقيقة في معناها القوي لا تفيد المطابقة أكثر مما تفيد التجلي والانكشاف. وفي سياق الحديث عن مفهوم الحقيقة يعرض هايدغر لنا المفهوم المتداول للحقيقة قائلا:

" هذه الكلمة النبيلة، لكن المنهكة من كثرة الاستعمال لدرجة أنها أصبحت فارغة من المعنى، تعني ما يجعل الحقيقي حقيقيا."[9]

إنّ الحقيقة من منظور هايدغر هي كل ما يجعل الحقيقي حقيقيا، كل ما يكشف عن ذاته من تلقاء ذاته.

" يحاول هايدغر أنّ يدعم تفسير الحقيقة بالرجوع إلى فجر الفلسفة، والنظر في المعنى الأصلي الذي كان يقصده فلاسفة اليونان المبكرون من كلمة الحقيقة (أليثا_ لاتحجب) "[10]

فقد حاول هايدغر تفسير ماهية الحقيقة بالعودة إلى تاريخ الفلسفة وخاصة العودة إلى الإرث الأفلاطوني الذي شكل إحدى المصادر الأساسية لتأسيس الفكر الفلسفي عند هايدغر، حيث كانت الحقيقة آنذاك تأخذ معنى الاليثيا بمعنى لا_تحجب الشيء وظهوره.

واذا عدنا الى القواميس للبحث في مفهوم (الأليثيا) Aléthéia نجدها تعني: " الاسم او المصطلح اليوناني للحقيقة الذي عبر عنه الفيلسوف مارتن هايدغر ب Vérité و باللاتنية تعني الأليثيا Aléthéia وهي الكشف عن كل ماهو متخفي." [11]

" إنّه ضروري أن نفكر بـ الأليثياالا_تحجب بوصفها الإضاءة التي تؤمن حضور الوجود والفكر في بعضهما البعض ولأجل بعضهما البعض. القلب الهادئ للإضاءة."[12]

فترجمةهايدغر لكلمة(الأليثا) اليونانية _ التي تفيدنا القواميس بأنها الحقيقة، والحقيقة بوصفها أليثيا أي اللا_تحجب هي ذلك العنصر الذي يتجلى فيه الوجود والفكر معا لأنّ الفكر يكشف عن الوجود.

كما أنّ الوجود في اللاتحجبه يكشف عن نفسه للفكر، تفهم الحقيقة بمعنى مواجهة الخطر، خطر الاختفاء والتحجب، لتبحث عن سبيل للانكشاف والتجلي من أنّ الحقيقة في معناه الحق كشف وانجلاء.

ثالثا: الفنّ ومفارقات الحقيقة بين الانكشاف والاحتجاب.

لقد خاض هايدغر العديد من المشكلات الفلسفية من خلال الوقوف على مختلف المفاهيم مثل مفهوم اللغة والشعر والفن والفكر ذلك أنّ هذه المفاهيم كلها تؤسس لمفهوم الحقيقة.

والحديث عن الحقيقة لا يقصد منه هايدغر حقيقة القول العلمي والرياضي أو القول الديني، وإنّما حقيقة قول الشعر والفنّ والفكر.

" لقد أثار هايدغر في مقالته أصل العمل الفني قضية الدور التاريخي للحقيقة في سياق مناقشة الفنّ، إذ يعد الفنّ بالنسبة لهايدغر أحد الأساليب التي تحدث بها الحقيقة ومن ثم، أصبحت العلاقة بين الفنّ والحقيقة مسألة ملحة لديه."[13]

فقد ربط هايدغر ربطا مباشرا بين مفهوم الفنّ ومفهوم الحقيقة التي أصبحت مطالبة في هذه الحالة أن تكشف عن نفسها بنفسها من خلال الفنّ بصفة عامة والأثر الفني بصفة خاصة.

حيث يؤكد مارتن هايدغر " أنّ الفنّ في الطبيعة لا يصبح فنا جليا إلاّ في الأثر لأنه يختبئ أصلا في الأثر." [14]

إنّ أعمال الفنان لا يمكن أن تتجلى إلاّ من خلال الآثار الفنية التي يقوم بإنتاجها والتي تحمل في نفس الوقت مجموعة من الحقائق التي تحاول الكشف عن نفسها من خلالها وهذا ما يدفعنا لطرح التساؤل التالي:

ما طبيعة العلاقة بين الأثر الفنّي والحقيقة، وكيف يمكن للحقيقة أن تتكشف من خلال الأثر الفني؟

" في الأثر يجري حدوث الحقيقة، وبالضبط حسب كيفية الأثر تبعا لذلك تمّ مسبقا تحديد ماهية الفنّ كوضع للحقيقة في الأثر...لكنّ وضع الحقيقة في الأثر يعني في الوقت نفسه جعل كون الأثر ينطلق ويحدث....إذن يكون الفنّ صيرورة وحدوثا للحقيقة." [15]

هكذا تصبح ماهية الفنّ بما يحمله من أثر فنّي من جهة والفنان من جهة أخرى، هو وضع الحقيقة وانكشافها من ذاتها ولذاتها في الأثر الفني.

" لا تظهر الحقيقة إلا في العمل الفنّي وذلك حين يتم انفتاح الوجود من حيث ماهيته إذ لا ينبغي ألاّ يفهم العمل الفنّي بوصفه تعبيرا عن مشاعر الفنان بل هو يجلب الوجود نفسه إلى ضوء الحقيقة."[16]

ولهذا تشكل فلسفة الفنّ عند هايدغر فلسفة مغايرة لما سبقه، فقد جعل من الفنّ أحد الوسائل الأساسية لظهور الحقيقة بوصفها كشفا، لأنّ ماهية الوجود تتجلى من خلال تكشف الموجود وانفتاحه عبر العمل الفنّي لتتجلى الحقيقة وتخرج من حيز الكتمان إلى حيز التصريح والانكشاف.

" تتضح قوة الفنّ حسب هايدغر بجلاء في علاقته بما جرتّه الفلسفة من مواضيع ذات صلة به، وهذه العلائق تجعلنا نكتشف فيه أشياء وحاجات مطلقة تنتسب إلى الحقيقة أكثر من انتسابها إلى الجمال وحده." [17]

فقد تحدث هايدغر عن حقيقة العمل الفنّي من جهة، وعن الحقيقة التي يحتضنها الأثر الفنّي أو يجسدها في الواقع من جهة أخرى.

انطلق هايدغرمن توضيح بعض المفاهيم المرتبطة بالأثر الفني من شيئية ومادة وشكل، حتى يبين كيفية حدوث الحقيقة في الأثر الفني، وقد اعتمد في توضيح ذلك على العديد من الأمثلة التي يوضح من خلالها الأسلوب الذي يكشف به العمل الفنّي عن الحقيقة من بينها:

مثال المعبد اليوناني، ولوحة فان غوغ وسنحتار في هذا المقام مثال الرسام الهولندي حيث "يري الفيلسوف الوجودي مارتن هايدغر أنّ الفنّ يكشف عن حقيقة الوجود الإنساني.

وضرب مثالا يوضح به أفكاره بلوحة تصور حذاء باليا لفلاح، رسمها الفنان الهولندي فان غوغ شرح فيه كيف تتكشف من خلال اللوحة عالم صاحب الحذاء بما فيه من شظف عيش وشقاء، وكذلك تنبعث من خلال العمل الفني أضواء تكشف عن حقيقة الوجود الإنساني"[18]

إن هذا المثال يوضح كيف تتجلى الحقيقة من خلال العمل الفنّي، فهذه اللوحة تظهر حذاء عند النظر إليها فإنّنا نجد أنّها تصور شيئا ماديا فقط، لكن ما تحمله من معنى وما تكشفه من حقيقة يختلف تماما، فهي تكشف عالم الفلاح وما يحمله من معاناة وشقاء.

وبالتالي تصور هذه اللوحة حقيقة عالم الفلاح، فتقديم هذا المثال يرمي إلى تقديم رؤية في كيفية حضور الحقيقة في الأعمال الفنية وكيفية انكشافها.

" إنّ العمل الفنّي لا يكون فنيا إلا لأنّ الحقيقة تظهر فيه، والحقيقة هنا لا تؤخذ بمعنى المطابقة لشيء خارجي واقعي، وبالتالي فهي ليست مفهوما منطقيا آو علميا، وإنّما هي كشف عن الموجود في كليته، هي انفتاح لماهية الشيء ما بأن يُنقل من تحجبه إلى لا_تحجب وجوده."[19].

الفنّ بالنسبة لهايدغر هو احد الأساليب الأساسية التي تنكشف من خلالها الحقيقة فالفنّ عنده هو بيت إيواء الحقيقة واستضافتها لتحقيق الانكشاف والتجلي أمر لا بد منه.

الحقيقة تؤسس للفنّ والفنّ يستجيب لندائها، الحقيقة عهدة في يد الفنان، والفنان أهل لها، فهناك علاقة تأسيس متكامل ومتبادل بينهما

رابعا: سؤال الحقيقة في تجربة الشعر.

يُصر هايدغر على أن العمل الفني ينبغي ألا يُفهم بوصفه تعبيراً عن مشاعر الفنان، بل هو ما يجلب الوجود نفسه إلى ضوء الحقيقة، وهذا ما دفع بغادامير إلى التأكيد، وهذا من خلال كتابه ((الحقيقة والمنهج))، على إمكانية الفن على تحصيل المعرفة وقول الحقيقة التي هي من نوع خاص مختلفة كل الاختلاف عن حقيقة العلم[20]، لكنها ليست دونها بالتأكيد.

لقد جاء تناول هايدغر لمسألة الفنّ والحقيقة تناولا جديدا يقوّضُ من خلاله النزعة التشكيلية للفنّ حيث كان الفنّ هناك منعزلا عن وجودنا وعن عالمنا الإنساني، ومفتقرا إلى أي دلالة انطولوجية، حيث أسس هايدغر لتصور جديد لمسألة الفنّ مؤكدا أن الإبداع الفنّي تعبير عن حقيقة الوجود.

"حيث يري هايدغر في الفنّ حدثا للحقيقة وانكشافا للوجود وتحررا من اليومي... ولبدء أخر يتحقق فيه الحدوث تظهر في الحقيقة انكشافا واختفاء في الآن ذاته."[21]

فلا يمكن الحديث عن ما نسميه حقيقة إلاّ بالقرب من مفهوم الفنّ الذي جعل منه هايدغر أسلوبا للكشف عنها، أو لنقل في الفنّ فقط تحدث الحقيقة وتتجلى.

"هكذا يقرر هايدغر أن مهمة العمل الفني إنّما تنحصر في تحقيق عملية تفتح الوجود، بحيث تنبثق الحقيقة أمام عيوننا وكأنما هي النور الذي يبدد ظلمات الأرض، وليس الجمال سوى مظهر من مظاهر تجلي الحقيقة حينما تتفتح بكل معنى الكلمة، أو حينما تتبدى بكل بهائها ونصاعتها."[22]

حصول الحقيقة وانكشافها يحتاج بالدرجة الأولى إلى عمل فنّي يكشف عن حقيقة الوجود من خلال التجلي والانكشاف.

ربط هايدغر الفنّ ربطا مباشرا بالشعر على اعتبار أنّ الفنّ ضرب من ضروب الشعر، ليجد في الشعر السبيل الأفضل للتجلي والانكشاف والخروج من التحجب إلى اللاتحجب، "رأى هايدغر في محاضرته أصل العمل الفنّي أنّ انكشاف الوجود وحدوث الحقيقة يحتاج إلى عمل فنّي يجمع كل الفنون.

ووجد في الشعر الفنّ الذي يمنح الوجود اللاتحجب _يتحول العمل الفنّي إلى طوبولوجيا للوجود والى صراع بين الاختفاء والتجلي وبين الحقيقة واللا_حقيقة داخل هذا الصراع ينكشف ماكان متحجبا ، وتتحول القصيدة إلى موطن للوجود. "[23]

القول الشعري هو الوحيد الذي بإمكانه فتح البصر والبصيرة على مخاطر الانجاز التقني الأعمى الذي اخفي عن الإنسان حقائق الأشياء وجعل الوجود متخفيا غامضا ليجد هايدغر الحل في الشعر لأنّه هو الوحيد الذي له خاصية الانفتاح على الحقيقة كما هي.

"الشعر ليس مجرد تفكير اعتباطي شارد، ولا هو مجرد حومان التصور والتخيل حول ما هو غير واقعي. إنّ ما يعرضه الشعر باعتباره تصميما كاشفا ويلقي به إلى الأمام نحو شرخ الشكل، هو المنفتح، الذي يسمح بالحدوث بطريقة تجعل المنفتح لا ينير ويرسل رنينه إلاّ في وسط الموجود."[24]

حيث يرى هايدغر أنّ انكشاف الوجود وحدوث الحقيقة يحتاج فعلا بالدرجة الأولى إلى الشعر الذي يمنح الوجود صفة الانفتاح واللاتحجب، لأنّ القول الشعري يحمل خاصية الانكشاف لأنّ الفكر الشاعري يتصف بقربه من الفكر وبقربه من الحقيقة لأنّه يكشف عنها كما دون تصنُّع لها.

"وأولوية الشعر عند هايدغر مرتبطة بأولوية اللغة التي تثير فسحة ظهور الأشياء، فاللغة هي في الأصل قصيدة شعرية كونها تكشف العالم. ولا يمكن للفنّ أن يعبر عن الرابطة الصراعية التي تجمع العالم بالأرض إلا من خلال الشعر."[25]

الشعر تأسيس للوجود، وبفضله تتحول اللغة من امتلاك الموجود إلى انكشاف الوجود فاللغة بفضل الشعر تستعيد قوتها على تأسيس الوجود.

الفنّ في معظمه شعر وطبيعة الشعر هي تأسيس الحقيقة من خلال انفتاح الوجود وهذا الانفتاح للوجود هو جوهر الحقيقة وجوهر الفنّ وهنا تظهر ممارسة حرية الانكشاف والتجلي.

ونفهم من هذا أنّ الفن في أرقي صوره شعر، ولما كان الفنّ حسب هايدغر هو انكشاف الحقيقة وتجليها أصبحت المهمة العليا والأساسية للفن الشعري تتمثل في صياغة الحقيقة شعريا.

هكذا يصبح الفنّ كله عبارة عن شعر لأنّ الشعر هو انفتاح الوجود وانكشافه وهذا الوجود هو الذي يحمل الإنسان على الأرض ويعود به إلى مسكنه ويكشف له الحقيقة.

"يحتضن الوجود الشعري الوجود بكليته يجمع الأرض والبشر والآلهة ويثبت الإنسان على وجه الأرض ويمنحه السكن إنّه سكن شعري."[26]

رفع هايدغر من مقام الفنون وبالأخص الشعر لقرب علاقته بالوجود لأنّ شعر فكرإنّه فكر في الوجود وتعبير عنه لكشف حقيقته.

"الشعر جوهر الفنون، لأنّ الشعر لغة، واللغة هي أداة الإنسان لتحقيق العلانية: وإظهار المستخفي، آو هي تجلي الموجود البشري في العالم الخارجي."[27]

اللغة هي السبيل الوحيد للكشف عن المتخفي لأنّ لديها تلك القدرة الكشفية لتحقيق الانفتاح، على عكس الموجودات المادية التي لا تملك لغة تجد نفسا حبيسة في عالم مضمر لا سبيل لها إلى الانجلاء على عكس الإنسان الذي يعبر عن تاريخيه ويخرجه من طي الإضمار والنسيان إلى التجلي والانكشاف.

لقد أعطى هايدغر أهمية كبيرة للغة بوصفها الأداة التي تحرك العالم وتكشف عنه، وبات اهتمامه بها واضحا فهو لم يتفلسف في باللغة بل تفلسف فيها ليجعل منها أسلوبا كاشفا للحقيقة.

"اللغة في رأي هايدغر، تجعلنا نصل إلى حقيقة الوجود، تجعلنا منفتحين على المجهول."[28]

سيعمل هايدغر من خلال إعادة قراءته لماهية اللغة على تجاوز البعد المنطقي والميتافيزيقي لهذه الماهية، وستُفقد بالتالي الفكر والوجود كل دلالة ميتافيزيقية ارتبطت به عبر مسارهما التاريخي منذ أفلاطون مرورا بديكارت وكانط وصولا إلى هيغل، وإلى إعادة بعث ماهية اللغة الأصلية كما فهما فلاسفة الإغريق الأوائل، لغة لا يتكلمها

الإنسان سوى كمستجيب لها بمعنى كمستمع، وفي هذا الوضع فقط يتسنى للأشياء حضورها في معناها المنكشف الأصيل. اللغة، إذن، تبعا لهذا المعنى هي الوسط الذي يحدث فيه ومن خلاله الكشف الأنطولوجي، وهذا ما عبر عنه غادامير أيضا في هذا القول: "الوجود الوحيد الذي يمكن فهمه هو اللغة"[29].

ربط هايدغر اللغة ربطا مباشرا بالوجود معتبرا أفكار الإنسان متضمنة فيها وأنّ اللغة هي بيت الوجود وراعيه وحاميه. خاصيتها الأساسية إحضار الوجود من التحجب والإخفاء إلى اللاتحجب والانكشاف، "وهذا يعني أن يسكن الإنسان بشاعرية على الأرض، فليست الشاعرية تحليقا ولكنه تأسيس الجوهري. فالعودة إلى الجوهري والينبوع والبيت والوطن هي عودة إلى الإنسان، وهذه العودة هي عودة شاعرية لأنّ الشعر هو تأسيس لإنسانية الإنسان" [30]

وبهذا يظهر جليا أنّ الحقيقة في الوجود تحدث في الشعر، تحدث في الفكر، الفكر النابع من الذات الإنسانية، وهكذا يبرز دور الشعر في تجلي الحقيقة عند الإنسان، "إذا كان كل فنّ في ماهيته نظّما فيجب إرجاع فنّ المعمار والصورة والصوت إلى الشعر...لكنّ الشعر ليس إلا كيفية لانكشاف الحقيقة، أي للنظّم بهذا المعنى الواسع." [31]

إنّ الحديث عن الشعر إنّما هو في صميمه حديث عن اللغة التي لا تقتصر وظيفتها على التواصل والتبليغ وإنّما لها وظيفة كشفية، فهي ما يسمح لنا بنقل الكائن من المجال الغامض إلى المجال المفتوح أي انفتاح الكائن، فهي التي تعطي للأشياء مسمياتهما وبهذا تقوم بتحديدها وهكذا فإنّها تجلب الأشياء من الكتمان إلى التصريح والظهور، "كل سلطة إذن للغة ولكلامها باعتبارها مقطنا لانوجاد الإنسان وتحقق ماهيته الشعرية، ليغدو الإنسان بموجب ذلك، مناسبة أو كلمة يتحقق معها كلام اللغة، وحكايتها التي هي حكاية الوجود وأسطورته. هذه اللغة هي التربة البكر، منبع كل متخيل وكل فن شعري."[32]

ومن هنا محاولة بول ريكور إقامة فواصل بين لغة العلم واللغة العادية ولغة الشعر، حيث يعتبر أن اللغة العادية تتوسط لغة الشعر من جهة، و اللغة العلمية من

جهة أخرى، لأن اللغة تتسم بنوع من الإبداع على النقيض من اللغة العلمية التي تعد أحادية الصوت، ويكون الشعر أكثر ثراءً فيما يتعلق بخاصية الإبداع اللغوي .

وإذا كانت اللغة تعتمد بشكل أساسي على هذه الخاصية المميزة للغات الطبيعية، وهذا في مقابل اللغات الاصطناعية، التي يتم بناؤها للاستخدام الخاص في مجالات العلم والحاسوب والسيبرنطيقا، فإن السمة الأساسية لهذه اللغة هو تعدد الدلالة، و آية ذلك أن الكلمة الواحدة يقابلها أكثر من معنى، فالعلاقة بين الدال والمدلول ليست أحادية، وهو ما يعد مصدر لسوء الفهم، لكن في نظر بول ريكور فإن ذلك يُعد مصدراً لإثراء اللغة، ذلك أنه يتسنى للمرء في هذه الحالة أن يتلاعب بمدى كامل من المعاني المرتبطة بكلمة واحدة، وعلى هذا الأساس فإن مهمة الشاعر تكمن في شحذ الكلمات لإنتاج أكبر قدر من الدلالات[33]؛ فإذا كانت اللغة العادية تسند إلى الأشياء صفات معهودة فيها بالفعل أو بالقوة ، فإن الشعر يخرق هذا المبدأ حين يسند إلى الأشياء صفات غير معهودة فيها[34].

الكلمات ليست علامات فارغة أو محايدة، واللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار. إن اللغة هي ذات مفكرة، اللغة، بمعنى من المعاني، تفكر أكثر من الفكرة نفسها كما يؤكد على ذلك الشاعر الفرنسي بول فاليري.

تبعاً لهذا التصور، نكون أمام علاقة جديدة بين الفلسفة والشعر، تستبعد التناقض والخصام الذي نشأ بينهما منذ أن أعلن أفلاطون في الجمهورية طرد الشعراء من مدينته، سيكون الشعر بجوار الفلسفة يساعدها على فهم حقيقة الوجود، إذ أن الشاعر هو المنوط به إنقاذ كلمات اللغة بتوسيع تخوم دلالاتها، وتكثير طاقة المعنى التي تنطوي عليها لغتنا، وبهذا المعنى يتكئ الفيلسوف على هذه القدرات التي يمتلكها الشاعر[35].

كل الفنون، إذن، سواء كانت رسما أو نحتا أو موسيقى أو شعرا فإنّها تتكلم لغة مسموعة كانت أو خافتة فاللغة هي ما يحكي لنا حكاية الوجود ويقربه إلينا وهكذا تنكشف الحقيقة بشكل شعري وتحرره قيود التخفي الى الظهور والتجلي.

خاتمة:

يمثل ما تم تقديمه النزر اليسير مما بسطه هايدغر عبر كامل فلسفته بخصوص إشكالية الفنّ وعلاقتها بمفهوم الحقيقة، ومما كان في استطاعتنا فهمه بما توفر لدينا من مادة معرفية وبما أسعفتنا به قراءتنا المتواضعة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّه كلما تعمقنا في ثنايا الفكر الهايدغري كلما اكتشفنا أصالة هذا الفكر العميق، فالدارس لفكر صاحب الغابة السوداء كما يلقبه البعض يشعر في كل مرة يقرأ فيها نصوص فكره عظمة الفكر وعمقه نظرا للتداخل بين أفكاره الفلسفية، خاصة التداخل بين الحقل الفني ومجال الحقيقة.

قام هايدغر بإقصاء الإجراء المنطقي العلمي لأجل الإجراء الفنّي في أرقى صوره وهو القول الشعري وفتح الممارسة الفلسفية على المجال الشعري وقرأ الشعر قراءة انطولوجية معتبرا أنّه لا شيء يضاهي الفلسفة في قول حقيقة الوجود سوى الشعر.

فقد تركز نشاطه في جلّه على محاولة كشف المتحجب وإخراجه من حيز الكتمان إلى حيز التصريح والانكشاف، وقد أدت بنا هذه الدراسة المتواضعة إلى بسط النتائج التالية:

1_غير هايدغر مجال الحقيقة من المجال المنطقي إلى المجال الفنّي لأنّ الحقيقة تظهر من خلال العمل الفنّي.

2-ربط هايدغر السؤال عن الأصل في العمل الفنّي بماهية الحقيقة، وبهذا أصبح الفنان هو الشخص الوحيد الذي من خلاله تحدث الحقيقة، فهو لا يتأمل الحقيقة، وإنّما يجعلها تحدث.

3_إنّ الحقيقة تحدث تلقائيا من ذاتها في العمل الفنّي، فالأمر الهام في العمل الفنّي ليس إنتاجه المادي من حرف وعمارة وشعر...وإنّما هو ماهيته التي يحملها بوصفه حقيقة تكشف عن الوجود.

4_في العمل الفنّي تظهر حقيقة الموجود وتقف في نور الوجود فينكشف وجود الموجود ويتألق بلمعانه وبريقه الخاص مُظهرا حقيقته الأصلية.

5_ماهية الفنّ ما هي إلّا حقيقة الموجودات التي تحدث في العمل الفنّي التي تحدث وتتحقق هناك، وبالتالي فإنّ العمل الفنّي والفنان مجرد أداتين لحدوث الحقيقة.

هكذا فتح هايدغر طرق متعددة للفكر من أجل الكشف عن موضوعات بقيت على الرّف دون البحث عن مصدرها ولا عن نفوذها وتغلغلها في حياتنا دون أن نتساءل عنها، وبهذا اطلق صرخة نداء للإنسان، ولوجوده، من أجل إعلان صوت الحقيقة بالعودة إلى الفنّ كأسلوب للكشف وتحقيق التجلي من خلال لغة الشعر لأنّها لغة يعلو فيها صوت الفكر لا صوت المنطق.

الهوامش:

1 لالاند، اندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الاول، تر:خليل احمد خليل، منشورات عويدات.، الطبعة الثانية، بيروت، باريس، 2010، ص: (95-96).

2(زيادة معن)، الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الاول، معهد الانماء العربي، الطبعة الاولى، بيروت لبنان، 1697، ص: (661).

3André comptsponville(Dictionnaire philosophique) , Quadrige .Paris2013،page(96)

4 محمد طواع، شعرية هيدغر مقاربة انطولوجية لمفهوم الشعر، منشورات عالن التربية، المغرب، 2010، ص :(106).

5 مارتن هيدغر، اصل العمل الفني، تر: ابو العيد دودو، منشورات الجمل، الطبعة الاولى، المانيا،2003، ص: (143).

6مارتن هيدغر، الكينونة والزمان، تر: فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديدة، الطبعة الاولى، بيروت ، لبنان، 2012، ص: (396-397).

7عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان، 1984، ص: (606).

8عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج1، المرجع نفسه، ص: (606).

9مارتن هيدغر، التقنية- الحقيقة- الوجود، تر: محمد سبيلا، المركز الثقافي الغربي، دط، بيروت، لبنان، 1958، ص: (11).

10مارتن هيدغر، نداء الحقيقة، تر: عبد الغافار مكاوي، دار الثقافة، دط، مصر، القاهرة، 1977، ص (121).

11André comptsponville(Dictionnaire philosophique)، page : 43

12مارتن هيدغر، نهاية الفلسفة ومهمة التفكير، تر : وعد علي الرحية، دار التكوين للتاليف والترجمة والنشر، الطبعة الاولى، سوريا، دمشق، 2019، ص: (73).

13 احمد امين، ماهية العمل الفني عند مارتن هيدغر، مجلة ابعاد جامعة احمد بن احمد وهران02، الجزائر، العدد الخامس، 2018، ص: (144)،

14مارتن هيدغر، كتابات اساسية، ج1، تر: اسماعيل المصدق، المجلس الاعلى للثقافة، الطبعة الاولى ، بيروت، لبنان، 2003، ص: (117).

15مارتن هيدغر، كتابات اساسية، ج2، تر: اسماعيل المصدق، المجلس الاعلى للثقافة، الطبعة الاولى، بيروت لبنان، 2003، ص:(118).

16 احمد ابراهيم، انطولوجيا اللغة عند هيدغر، منشورات الاختلاف، الطبعة الاولى، بيروت لبنان، 2008، ص: (112).

17سعد العيدودي، اشكالية الفنّ عند مارتن هيدغر، مجلة الراصد العلمي جامعة احمد ابن احمد وهران 2، الجزائر، العدد الخامس، 2018، ص: (75).

18اميرة حلمي مطر، مدخل الى علم الجمال وفلسفة الفنّ، دار الثقافة ، دط، مصر، القاهرة، دس، ص: (66).

19 محمد كرد، الشعر والوجود عند هيدغر، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2011-2012، ص: (140).

20-- غادامير: الحقيقة والمنهج، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أويا، طرابلس، ط1، 2007، ص: 165.

21 مارتن هيدغر، التقنية- الحقيقة- الوجود، مصدر سابق، ص: (08).

22زكريا ابراهيم، فلسفة الفنّ في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، دط، القاهرة، مصر، دس، ص: (228).

23 حبيب علي الفريوي، مارتن هيدغر الفنّ والحقيقة او الانهاء الفينومولوجي للميتافيزيقا، دار الفرابي، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان، 2008، ص: (247).

24 مارتن هيدغر، اصل العمل الفنّي، مصدر سابق، ص: (145).

25 ميشال هار، فلسفة الجمال قضايا واشكالات، تر: ادريس كثير وعز الدين الخطابي، منشورات ما بعد الحداثة، الطبعة الاولى، المغرب، فاس،2005، ص: (73-74).

26 حبيب علي الفريوي، مارتن هيدغر الفنّ والحقيقة او الانهاء الفينومولوجي للميتافيزيقا، مرجع سابق، ص: (246).

27زكرياء ابراهيم، فلسفة الفن في فكر المعاصر، مرجع سابق، ص: (229).

28 احمد ابراهيم، انطولوجيا اللغة عند هيدغر، مرجع سابق، ص: (63).

29 غادامير: فن الخطابة وتأويل النص ونقد الأيديولوجيا، ترجمة: نخلة فريفر، العرب والفكر العالمي، مركز الانماء القومي، العدد الثالث، 1988، ص: 95.

30 محمد بن عبد العالي مجاهد، فلسفة الفنّ الجميل، دار الثقافة، دط، مصر، القاهرة، دس، ص: (89).

31 مارتن هيدغر، كتابات اساسية، ج2، مصدر سابق، ص: (119).

32 محمد طواع، شعرية هيدغر مقاربة انطولوجية لمفهوم الشعر، مرجع سابق، ص: (112).

33 حوار مع بول ريكور: الشعر والإمكان ، ترجمة: سامح فكري، مجلة نزوى، العدد:15 ،جوان 1998، ص:156

34جان كوهن : بنية اللغة الشعرية ،ترجمة: محمد الولي و محمد العمري ، دار توبقال للنشر 1986، ص: 7.

35حوار مع بول ريكور، الشعر والإمكان، مرجع سابق، ص:158